على مقاعد الدراسة الجامعية، كان اسم إبراهيم أبو عياش بالنسبة إليَّ يحمل الكثير من المعاني النضالية والوحدوية: كمناضل في صفوف الثورة الفلسطينية، وفي صفوف الحركة الوطنية الأردنية؛ كنقابي يدافع عن مستوى المهنة والمهنيين، و كقائد نقابي ساهم في تثبيت موقف النقابات الوطني وأبرز دورها في الدفاع عن حقوق الوطن و المواطن، خاصة في فترة الأحكام العرفية.

لكن لمَّا التقيته شخصيا، وجدته أكثر من ذلك بكثير؛ وجدته إنسانا عطوفا وحنونا، لا يكتفي بالكلمات بل يمارس التعاطف الانساني وبعمق، يحترم الصداقة، ولا يخذل صديقا، قديما أو جديدا؛ وجدته إنسانا منفتحا يحترم الرأي الأخر مهما كان تعارضه معه، يمارس الديمقراطية حتى في حياته الشخصية، ومن دون مجاملة أو رياء.

في بدء حياتي الصحافية، شجعني ووقف معي، أخذ عملي وطموحي بجدية، فقد كان يثق بقدرات الشباب؛ لأنه يؤمن بالتغيير، وبأن كل جيل يستطيع أن ينفض عنه تكلس وجمود وإحباطات الماضي

كان يتحمل حديتي ونقاشي ورأسي الحامية؛ بل كنت أحس أن ذلك يسعده، وتأكدت بعد سنوات عندما كان يحدثني عن نقاشاته مع حبيبته سلوى، وعن تحديها لبعض مواقفه أو على الأقل تحليله السياسي، أنه إنما كان يفتخر باستقلالية رأيها وباتصالاتها مع المقاومة الشعبية في بيت أمر، ولا يضايقه تحديها لتجربته، بل تشعره بثقة بالمستقبل وبأن الحلم لم يمت ولن يموت.

أبو العبد كان يجمع ولا يفرق، بل على مائدته تصافت القلوب، وانتهت فترات جفاء بين رفاق قدامى، تجمعهم ذاكرة بكاء على شهداء، وهزائم وأفراح، وإن كانت نادرة الانتصارات النقابية أو الوطنية في عمان وبيروت ودمشق وتونس والجزائر وعلى أرض فلسطين.

أحيانا لا ندرك أننا نتعلم ونحن نتعلم، لكنني الآن أدرك أنني كنت أتعلم: أتعلم كيف لا أدع الاختلاف السياسي وخلاف الرأي يفسد التواصل الانساني؛ أتعلّم كيف أسعى لإيجاد المشترك والجميل في دواخلنا.

أبو العبد افتقدك ونفتقدك؛ لكننا محظوظين أنك كنت جزءا من حياتنا.

إبراهيم أبو عياش شكرا!